المصطلح النقدي التراثي

عني القدماء بتأليف الكتب والمعاجم المختصة في مختلف العلوم والفنون. فقد صنّف الخوارزمي ـ مثلا ـ كتابا جامعا لمفاتيح العلوم وأوائل الصناعات. وكذلك كان الأمر في مجال النقد العربي القديم؛ فقد حرص النقاد القدامى عل وضع جملة من المصطلحات النقدية التي اعتمدوها في نقد الشعر ونقد النثر على حد سواء. وكانوا كلما أوردوا مصطلحا جديدا غير متداول من قبل، بادروا إلى شرح معناه، وتحديد دلالته، وربطه بشواهد كافية ومتنوعة من الأمثلة والنصوص إيمانا منهم بأنّ المصطلح هو المفتاح الأساسي لفهم العملية النقدية، واستيعاب مختلف قضاياها، وأبعادها، وإشكالاتها.

وهناك مستويان لدراسة المصطلح النقدي التراثي من الناحية التاريخية:

1ـ مستوى الدراسة الجزئية:

وتتناول دراسة المصطلح في المصنّف الواحد، أو عند المؤلف الواحد، أو دراسته في حقبة تاريخية معيّنة (من القرن 3هـ إلى القرن 5هـ مثلا).

2ـ مستوى الدراسة الكلية:

وهي دراسة مصطلحات النقد العربي القديم دراسة كلية شاملة. وهي تعتمد على ما حققته الدراسات الجزئية السابقة.

ولكل مجال أدبي مصطلحات خاصة تشمل جوانب مختلفة متعلقة به؛ ففي نقد الشعر ـ مثلا ـ نجد العديد من المصطلحات الموزّعة على الحقول الآتية:

ـ الحقل الأول: وهو القاعدة أو مركز الدائرة، ويمثله المصطلح الأم (مصطلح الشعر).

ـ الحقل الثاني: ويحوي مصطلحات بناء الشعر، ومكوناته، وأجزائه، وأدوات بنائه (كالبيت والشطر والصدر والعجز والقافية والقصيدة واللفظ والمعنى والأسلوب...إلخ).

ـ الحقل الثالث: تمثله مصطلحات أغراض الشعر كالمديح والهجاء والفخر والرثاء...

ـ الحقل الرابع: يشمل مصطلحات محاسن الشعر ونعوته (كالطبع وجودة السبك والفخامة والعذوبة...إلخ).

ـ الحقل الخامس: مقابل لسابقه ويشمل مصطلحات عيوب الشعر (كالتكلف والغرابة والابتذال...).

ـ الحقل السادس: وهو السلك الجامع لبقية الحقول، وتمثله المصطلحات الواصفة للجودة والرداءة.

ويمكن أن نضيف إلى هذه القائمة من المصطلحات المتنوعة قائمة أخرى تتمثل ي المصطلحات الخاصة ببعض العلوم التي لها علاقة ـ بشكل أو بآخر ـ بنقد الشعر كعلم البلاغة وعلم العروض وباقي علوم اللغة بوجه عام.

ـ نموذج في تحديد دلالة المصطلح النقدي التراثي:

يقول عبد القاهر الجرجاني في بيان مصطلح النظم: " واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت ف تزيغ عنها... " (دلائل الإعجاز/ ص94).